المحاضرة الثامنة:

مديح اللسان

ذكر ما قالوا في مديح اللسان بالشعر الموزون واللفظ المنثور، وما جاء في الأثر وصح به الخبر.

قال الشاعر:

أرى الناس في الأخلاق أهل تخلق ... وأخبارهم شتى فعرف ومنكر

قريبا تدانيهم إذا ما رأيتهم ... ومختلفا ما بينهم حين تخبر

فلا تحمدن الدهر ظاهر صفحة ... من المرء ما لم تبل ما ليس يظهر

فما المرء إلا الأصغران: لسانه ... ومعقوله، والجسم خلق مصور

وما الزين في ثوب تراه وإنما ... يزين الفتى مخبوره حين يخبر

فإن طرّة راقتك منه فربما ... أمر مذاق العود والعود أخضر

وقال سويد بن أبي كاهل في ذلك:

ودعتني برقاها إنها ... تنزل الأعصم من رأس اليفع

تسمع الحدّاث قولا حسنا ... لو أرادوا مثله لم يستطع

ولسانا صيرفيا صارما ... كذباب السيف ما مسّ قطع

وقال جرير:

وليس لسيفي في العظام بقية ... وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

ويقولون: «**كأن لسانه لسان ثور**» .

وحدثني من سمع أعرابيا يمدح رجلا برقة اللسان فقال: «**كأن والله لسانه أرق من ورقة، وألين من سرقة**»

ووصف أعرابي رجلا فقال: أتيناه فأخرج لسانه كأنه مخراق لاعب .

.

وقال الأعور الشني :

وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

ولما دخل ضمرة بن ضمرة، على النعمان بن المنذر، زرى عليه، للذي رأى من دمامته وقصره وقلته. فقال النعمان: «**تسمع بالمعيديّ لا أن تراه**» .

فقال: أبيت اللعن! إن الرجال لا تكال بالقفزان، ولا توزن بالميزان، وليست بمسوك يستقى بها، وإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، إن صال صال بجنان، وإن قال قال ببيان» .

قال الحسن: «لسان العاقل من وراء قلبه، فإذا أراد الكلام تفكر، فإن كان له قال، وإن كان عليه سكت. وقلب الجاهل من وراء لسانه، فإن همّ بالكلام تكلم به له أو عليه» .

والعجب من قول ابن الزبير للأعراب: «سلاحكم رث، وحديثكم غث. وكيف يكون هذا وقد ذكروا أنه كان من أحسن الناس حديثا، وأن أبا نضرة وعبيد الله بن أبي بكرة إنما كانا يحكيانه. فلا أدري إلا أن يكون حسن حديثه هو الذي ألقى الحسد بينه وبين كلّ حسن الحديث.

وقال يونس بن حبيب : ليس في بني أسد إلا خطيب، أو شاعر، أو قائف، أو زاجر، أو كاهن، أو فارس. قال: وليس في هذيل إلا شاعر أو رام، أو شديد العدو.

وقال خلاد بن يزيد: لم يكن أحد بعد أبي نضرة أحسن حديثا من سلم ابن قتيبة. قال: وكان يزيد بن عمر بن هبيرة يقول: احذفوا الحديث كما يحذفه سلم بن قتيبة.

الأسئلة:

١. اذكر ثلاثة أبيات أو أكثر مما حفظت في مدح اللسان.
٢. اعرب قولهم: **(كأنَّ لسانَهُ لسانُ ثور)** ثم بيّن معناه.
٣. زن الأبيات الآتية:

فما المرء إلا الأصغران: لسانه ... ومعقوله، والجسم خلق مصور
وكائن ترى من صامت لك معجب ... زيادته أو نقصه في التكلم
وليس لسيفي في العظام بقية ... وللسيف أشوى وقعة من لسانيا

٤. ما المقصود بالمَثل: «**تسمع بالمعيديّ لا أن تراه**»
٥. ما وزن الكلمات الآتية: (ميزان، عاقل، أرقُّ، مديح، همَّ).